الذي اصبح متداولا بعد هزيمة ٦٧ . « هل سيكون من الممكن القضاء على اسرائيل » . ان انتزاع ذلك التساؤل الخطر خطوة ضرورية للاستفادة من امكانات الجماهير « وهي القوة التي تحرك عجلة التاريخ » . ان هذه الجماهير والتي تستطيع وحدها ان تصنع النصر لن تكون قوة فاعلة « اذا كانت هذه الملايين غير مقتنعة بعمق بقدرتها على تحطيم هذه القاعدة الغازية الفاشية العنصرية الامبريالية المتمثلة في اسرائيل » ، اذ انه من « الصعب ان تعبىء هذه الجماهير كل طاقاتها لتحقيق هدف لا تتوفر لديها القناعة لقدرتها على تحقيقه » .

ان التعامل مع معطيات حرب تشرين بهذه الطريقة والانطلاق منها بعملية تحريضية نحو مزيد من تعبئة الجماهير وتعميق التزامها بأهداف الثورة ، والتي اكتسبت دليلا حسيا اخر على انها ممكنة ، هذا النمط من التعامل هو الوحيد الكفيل « بتوفير شروط قيام واستمرار الحرب الشعبية الطويلة الامد » كما يطالب سعيد جواد ، وهي الظرف المناسب تماما لتصعيد العمل في الداخل والمطالبة بفتح الحدود العربية امام حركة المقاومة. وليس توقيف العمليات كما حدث بالنسبة لاكثر من جبهة من تلك الجبهات .

ان الانطلاق من معطيات تشرين، في عمل جماهيري مكثف وواسع هو الوسيلة الوحيدة لفرملة الفهم الانتهازي لمعطيات حرب تشرين وللحرب نفسها أساسا والتي يعتبر سعيد جواد نموذجها القيادة « الوطنية » التي « لا تستطيع التعبير عن قناعات الجماهير ولا تستوعب استعداداتها ، بل ومنعتها باصرار من المساهمة في التحضير للحرب او الاشتراك بالقتال فيها » . والتي « اوقفت الحرب المحدودة دون تحقيق اهدافها » والتي « بدأت التحرك باتجاه تسوية سياسية على أساس القرار رقم ٢٤٢ » . ماذا يعني هذا الكلام ؟ انه يعني ان حرب تشرين، حتى باهدافها المحدودة ، كانت قادرة على تحقيق اهداف اكبر من التي حققتها . وهنا يبرز تساؤل جديد : هل « قيادة توقف الحرب عند حدود واهداف أقل من التي تستطيع بلوغها » هي قيادة يمكن ان نطلق عليها قيادة وطنية ؟ وامر اخر ، الا يعني هذا أن هنالك تعاملا قاصرا مع معطيات واهداف حرب تشرين تمثله تلك القيادات (الوطنية) ويتناقض مع الفهم الصحيح وطموحات واستعدادات جماهيرنا للعطاء ؟ هنا يقع سعيد جواد في الخطأ القاتل ويتناقض مع نفسه ، حيث سمح لنفسه ان يعتبر ان استعدادات الجماهير العربية والفلسطينية العالية المعطاء ، وبرامج الثورة الفلسطينية للتحرير الكامل ... لا يمكن ان يغير شيئا من طبيعة الحرب الوطنية التي تخوضها القيادات الوطنية لحركة التحرر العربية (الانظمة) بل حتى التأثير في حدودها واهدافها المحدودة » .

مرة اخرى ، ماذا يعني هذا ؟ ألا يعني ان حركة الجماهير باستعداداتها العالية للعطاء + حركة المقاومة الفلسطينية تساوي صفرا في مجال التأثير في مجريات الامور ؟ واذا كان هذا الكلام صحيحا فما معنى كلام سعيد جواد عن « حضور واقع فلسطيني موضوعي فرض من خلال القتال وصمود المقاومة » هذا الواقع والحضور العسكري والسياسي الذي أدى الى « تصفية ادعاءات النظام الاردني في الضفة الغربية » ص ٤٦ ، ولكم يبدو غير منطقي وهو « يصغر » حركة المقاومة بالاضافة الى حركة الجماهير وفي الوقت نفسه يعطيها القدرة على النضال « ووضع العقبة تلو الاخرى في وجه التسوية الامريكية — الاسرائيلية بالنضال ضد حلقاتها الخاصة بالمسألة الفلسطينية » (ص ٥٦) .

ان سعيد جواد يحجم حركة المقاومة بمقياس مزاجي غريب جدا ، ويفصل قدراتها حسب المواقف المتناقضة ، فهي عندما تطالب بموقف ضاغط على الانظمة الوطنية ، فانها مضافا اليها حركة الجماهير غير قادرة على أن تغير شيئا من طبيعة الحرب ويحدد اكثر بل حتى « في حدودها واهدافها المحدودة » (ص ٤٣) ، ولكن عندما تكون المسألة تسوية سلمية ومشاركة في جنيف فأن حركة المقاومة تصبح « جبهة ثالثة » (ص ٦٢) من الجبهات التي قاتلت في حرب تشرين . ويضيف لها انتصارات مؤتمري الجزائر ولاهور » (ص ٦٢) . متناسيا ان المؤتمرين المذكورين ليسا ببعيدين عن متناول يد الانظمة التي لا تستطيع المقاومة او الجماهير التأثير عليهما ، الا اذا كان سعيد جواد يعتبر ان بقية الاطراف — الانظمة الرجعية في مؤتمر القمة — هي التي انهزمت امام انتصارات منظمة التحرير . عندما تكون المسألة حضور مؤتمر جنيف « فأن الانظمة لا يمكن ان تكون حريتها مطلقة او كبيرة في التحرك » (ص ٥٨) وفي الوقت